

دولة الأندلس (91 - 897هـ / 711 - 1492) (دراسة تاريخية تحليلية)

أستاذ مساعد-(متعاون)- كلية التربية-جامعة أم درمان الإسلامية

د.علي أحمد عباس محمد

المستخلص:

تناولت هذه الورقة سقوط دولة الأندلس [91 هـ / 711 م - 897 هـ / 1492] تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات: متى سقطت الأندلس نهائياً وعلى يد من؟ من هم سكان الأندلس الأصليين؟ من هو القائد المسلم الذي فتح الأندلس؟ ما هو سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم؟ هدف البحث إلى التعرف على الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة الأندلس. وإبراز دور الحضارة الإسلامية في نهضة وتقدم الدول الأوروبية بالإضافة إلى معرفة موقف ملوك وسلطين الممالك الإسلامية من سقوط غرناطة، مستخدماً في ذلك المنهج الوصفي التاريخي لسرد الأحداث التاريخية الأحداث التي مرت بها دولة الأندلس حتى سقوطها. وتوصل البحث إلى عدة نتائج منها سقوط طليطلة عام (1085م) بداية الانهيار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس. تعتبر مملكة استورياس في جليقية أول الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا بعد الفتح الإسلامي. وبناء على النتائج توصي الدراسة بالوقوف على سمات الفن الأندلسي في شتى المجالات العلمية. ويجب معرفة تاريخ ملوك الطوائف لما له الأثر الكبير في تاريخ الأندلس.

Andalusia state

(91-897 AH 711-1492 AD)

(Analytical historical study)

Dr.Ali Ahmed Abbas Mohammed

Abstract:

This paper dealt with the fall of the Andalusian state [91 AH / 711, - 897 / 1492] The problem of the research is to answer the questions: When did Andalusia fall completely and by whom? Who are the original inhabitants of Andalusia? Who is the Muslim leader who conquered Andalusia? What is the reason for naming Andalusia with this name? The research aimed to identify the reasons that led to the fall of the state of Andalusia. And highlighting the role of Islamic civilization in the renaissance and progress of European countries, in addition to knowing the position of the kings and sultans of the Islamic kingdoms on the fall of Qarnata, using the historical descriptive approach to narrate the historical events that the state of Andalusia went through until its fall. The research reached several results, including the fall of Toledo in the year

(1085 AD), the beginning of the real collapse of Islamic rule in Andalusia. The Kingdom of Asturias in Galicia is the first of the Frankish emirates in northern Iberia after the Islamic conquest. Based on the results, the study recommends examining the characteristics of Andalusian art in various scientific fields. The history of the Tawa kings must be known because of its great impact on the history of Andalusia.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد- صلى الله عليه وسلم اما بعد ، فقد جاء بحثي هذا بعنوان (سقوط الأندلس)، حتى بعد انهيار الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف في الأندلس التي قسمت إلى 22 دويلة اتسمت غالباً بالضعف والتناحر فيما بينها، لم يكن سهلاً على الإسبان إنهاء الحكم الإسلامي في المنطقة، فقد استغرق سقوط الأندلس بالكامل ما يزيد عن 4 قرون بدأت بانتهاء طليطلة وانتهت بتسليم غرناطة التي صمدت وحيدة 10 أعوام أمام حملات الإسبان المتتالية. بالرغم من أن سقوط طليطلة عام 1085 كان بداية الانهيار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس، فإن بعض المؤرخين يشيرون إلى معركة «مغارة دونجا» على أنها أولى محاولات ما يسمى «حروب الاسترداد».

كان ذلك عام 718، أي بعد 7 أعوام من الفتح الإسلامي للأندلس على يد طارق بن زياد، في ذلك الوقت كانت الأمور مستتبّة في الأندلس التي أصبحت ولاية تابعة للخلافة الأموية، وكانت أنظار المسلمين متوجهة نحو استكمال الفتوحات والتوغل في أوروبا. استغل أحد نبلاء القوط، ويدعى «بيلايو»، انشغال المسلمين بحملاتهم على أربونة (في فرنسا) وبلاد الغال، وقاد تمرداً على الدولة الأموية في منطقة أستورياس (شمال غرب إسبانيا)، وقد بدأ تمرده ذاك برفض دفع الجزية وأنهاه بالاعتداء على الحامية الأموية وطرد الحاكم المسلم من المنطقة. وبالرغم من إرسال الأمويين جيشاً بقيادة علقمة اللخمي لقمع التمرد، فإن جيش اللخمي فشل في مهمته ومُني بهزيمة في معركة أطلق عليها اسم معركة كوفادونجا أو معركة «مغارة دونجا» التي نجم عنها تأسيس مملكة أستورياس في جليقية، والتي تعتبر أولى الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا بعد الفتح الإسلامي.

لم تهدأ المناوشات بين الإسبان والمسلمين بعد تأسيس مملكة أستورياس، واستطاع الإسبان الاستيلاء على بعض المناطق في فترات متفاوتة من الحكم الإسلامي، إذ استولوا على بامبلونا عام 748 ثم برشلونة وسنتياغو وليون.

أسباب اختيار موضوع البحث: أهم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع تتلخص فيما يلي:

تسليط الضوء على يلاذ بالأندلس في التاريخ الإسلامي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت من فتح العرب لأسبانيا في عام 91 بعد الهجرة، أي 711 ميلادية، حتى سقوط غرناطة في 897 هجرية/ 1492 مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- متى سقطت الأندلس نهائياً وعلى يد من؟
- من هم سكان الأندلس الأصليين؟
- من هو القائد المسلم الذي فتح الأندلس؟
- ما هو سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم؟

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من أهمية المكانة التاريخية لدولة الأندلس بما يزيد من أهميته أنها إقليم يقع في أوروبا الغربية بجزيرة أيبيريا، فتحه المسلمون وأقاموا فيه ثمانية قرون، بنوا خلالها مجدا وحضارة أضاءت الطريق للنهضة الأوروبية فيما بعد، لكنهم خسروه بسبب الصراعات وحياة الترف واللهو، وكانت غرناطة آخر جواهر الأندلس التي فقدت عام 1492 للميلاد.

أهداف البحث:

التعرف على الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة الأندلس.
إبراز دور الحضارة الإسلامية في نهضة وتقدم الدول الأوروبية
معرفة موقف ملوك وسلاطين الممالك الإسلامية من سقوط قرناطة

منهج البحث:

سيستخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي لسرد الأحداث التاريخية الأحداث التي مرت بها دولة الأندلس حتى سقوطها.

بداية سقوط الأندلس:

الأندلس التسمية التي تعطى لما يسمى اليوم شبه الجزيرة الأيبيرية (جزيرة الأندلس) في الفترة ما بين أعوام 711 و1492 التي حكمها المسلمون. تختلف الأندلس عن أندلسيا التي تضم حاليا ثمانية أقاليم في جنوب إسبانيا. تأسست في البداية كإمارة في ظل الدولة الأموية في الشام، التي بدأت بنجاح من قبل الوليد بن عبد الملك (750-711)، بعدها تولتها دولة بني أمية في الأندلس عبد الرحمن الداخل وبعد سقوط دولة بني أمية تولت الأندلس ممالك غير موحدة عرفوا بملوك الطوائف، ثم وحدها المرابطون والموحدون قبل أن تنقسم إلى ملوك طوائف مرة أخرى وزالت بصورة نهائية بدخول فرناندو الثاني ملك الإسبان مملكة غرناطة في 2 يناير 1492.

التسمية وتاريخها:

في الأصل جزيرة الأندلس (والأندلس قد تكون محرفة من وندلس، إذ اعتادت العرب إبدال الواو ألفًا)، والأندلس لدى العرب القدامى هم فاندال، وهم شعب جرمانى نزحوا من جرمانيا (ألمانيا وبولندا، حاليا) إلى أيبيريا (إسبانيا والبرتغال، حاليا)، وانتقل جزء كبير منهم أيضا إلى شمال أفريقيا بعد أن غزا القوط الغربيون أيبيريا (يتأصل القوط الغربيون من منطقة البحر الأسود، كانوا قبائل آرية). ذكر ابن عذاري المراكشي في كتابه: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ⁽¹⁾ «وقيل أن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يُعرفون بالأندلس (بشين معجمة)، فسميت بهم الأندلس (بسين غير معجمة) أطلق المسلمون اسم الأندلس على شبه الجزيرة الأيبيرية، وهي تقابل كلمة «فاندالوسيا» (وهي مشتقة من اسم

الوندال) التي كانت تطلق على الإقليم الروماني المعروف باسم باطقة الذي احتلته قبائل الوندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاماً ويسميهم الحميري الأندليش. ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التي أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن، ويرى البعض الآخر أنها ترجع إلى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح. تقع الأندلس في الطرف الغربي من أوروبا، وتشمل الآن ما يسمى أسبانيا والبرتغال، ويفصلها عن قارة أفريقيا مضيق جبل طارق. ويراد بالأندلس في التاريخ الإسلامي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت من فتح العرب لإسبانيا 91هـ / 711م حتى سقوط غرناطة 897هـ / 1492م وهي الفترة التي امتدت نحو ثمانية قرون.⁽²⁾

الليبيون والكلتز هم أقدم الشعوب التي سكنت أيبيريا (أسبانيا والبرتغال) قدم شعب الليبيين من الجنوب من الجزر التي في البحر الأبيض المتوسط بينما الكلتز Celts شعب أرى أتى من الشمال. كما أستوطن اليونانيون والفينيقيون بعض المدن والشعور الأيبيرية. غزاها الرومان وعملوا تحويلها إلى ولاية رومانية الثقافة وكاثوليكية الدين بعد أن كانت تنتشر العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد ونجح الرومان في تغيير اللغة إلى اللاتينية. وقد كان لانتشار العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد الأصليين أثره في اعتناقهم الإسلام بعد الغزو الإسلامي لقربها من العقيدة والفكر الإسلامي. فتح المسلمون بقيادة القائد طارق بن زياد عام سنة 92هـ / 711م وجعلوا الأندلس جزءاً من الدولة الإسلامية ويعتبر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) المؤسس الفعلي للدولة الأندلسية سنة 750 التي كانت مستقلة عن الدولة العباسية واعتبرت الأندلس امتداداً لدولة بني أمية التي قضى عليها العباسيون في الشرق عام 132هـ. وفي سنة 756م بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث) مدينة قرطبة والتي أصبحت عاصمة الأندلس واعتبرت المدينة المنافسة لبغداد عاصمة العباسيين.⁽³⁾ وكانت بلاد الأندلس قد تجزأت إلى عدة دول صغيرة ومتنازعة بعد سقوط الدولة الأموية عام 399هـ سميت دويلات ملوك الطوائف وبرزت هذه الدويلات وأكبرها كانت دويلة بنو عباد في اشبيلية ودويلة بني هود في سرقسطة ودويلة بنو الأفطس في بطليوس ودويلة بنو ذي النون في طليطلة وقد توسعت الممالك الإسبانية الكاثوليكية على حساب هذه الدويلات الإسبانية المسلمة مستغلة تنازعاتها الداخلية إلى أن سقطت طليطلة في نهاية المطاف في أيدي جيوش الفونسو السادس ملك قشتالة القوي والملكة إيزابيلا الأولى، مما اضطر ملوك الطوائف للاستنجاد بالمرابطين الذين كانوا قد اقاموا دولة قوية في شمال أفريقيا والذين عبروا إلى الأندلس لنجدة إخوانهم في الدين بالأندلس وهزموا الإسبانين الكاثوليك في معركة الزلاقة الشهيرة.

ودولة الموحيدين ومملكة الأندلس هو الاسم الذي أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام 711م.⁽⁴⁾ بعد أن دخلها المسلمون بقياده طارق بن زياد وضموها للخلافة الأموية واستمر وجود المسلمين فيها حتى سقوط مملكة غرناطة عام 1492.

مرحلة ما قبل فتح الأندلس:

حقّق المسلمون تقدماً واسعاً في شمال أفريقيا، ووصلوا إلى المغرب الأقصى (يقابل ما يُعرف اليوم بالمملكة المغربية) المواجه لشبه جزيرة أيبيريا. وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك (96-86هـ). ثم استُبدل حسان بن النعمان، والي أفريقيا، عام (85هـ)، بموسى بن نصير الذي توجه من مصر إلى القيروان مصطحباً أولاده الأربعة الذين كانت لهم أدوار مهمة في التوسعات. شرع بمعالجة نقاط الضعف التي واجهت المسلمين هناك، فقرّر العمل على تقوية البحرية الإسلامية،⁽⁵⁾ وجعل القيروان قاعدة حصينة في قلب أفريقيا، واعتمد

سياسة معتدلة ومنفتحة تجاه البربر مما حوّل معظمهم إلى حلفاء له، بل اعتنقوا الإسلام وأصبحوا فيما بعد عماد سقوط اسبانيا في يد المسلمين، واستكمل التوسع في شمال أفريقيا وتأمين المنطقة درءاً لتمرّد قد ينشأ ضد السيادة الإسلامية. وفي إحدى الحملات التي قادها أبو الورد بنفسه، استولى المسلمون على طنجة ذات الموقع المهم بين القارتين الأوروبية والأفريقية عام (89هـ - 708م)، وحوّلها موسى بن نصير إلى مركز عسكري لتموين الحملات باتجاه المناطق المجاورة. وفي هذه الحملة برز أبو الدنين. (1) لكنّ مدينة سبتة عصيت على الفاتحين، حيث استطاع حاكمها الوالي البيزنطي يوليان الصمود بوجه المسلمين. لكنه فيما بعد لعب دوراً أساسياً في تشجيعهم ومساعدتهم على عبور المضيق إلى الأندلس.

الفتح الإسلامي للأندلس:

في عهد الدرنات بين عامي (92 - 93 هـ) في الخلافة الأموية وفي عام 711م أرسل موسى بن نصير القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب يوم 30 أبريل 711، عبر المضيق الذي سمي على اسمه، حيث استطاع الانتصار على القوط الغربيين وقتل ملكهم لزريق (Roderic or Rod-rigo) في معركة جوادالتي في 19 يوليو 711. أو معركة وادي برباط في 28 رمضان 92 هجري وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة الأموية كإحدى الولايات الرئيسية، إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (132هـ)، واتجه العباسيون إلى استئصال الأمويين⁽⁶⁾ وتمكن عبد الرحمن بن معاوية -عبد الرحمن الداخل- أن يفلت من قبضة العباسيين، فهرب إلى أخواله في الشمال الإفريقي، وأقام عندهم فترة من الزمن، ثم فكر في دخول الأندلس ليعتد عن العباسيين، فراسل الأمويين في الأندلس.⁽⁷⁾ بحلول عام 718 استولى المسلمون على معظم أيبيريا عدا جبياً صغيراً في الركن الشمالي الغربي حيث أسس النبيل القوطي بيلايو مملكة أستورياس في العام نفسه 718. والذي استطاع الدفاع عن مملكته في وجه المسلمين في معركة كوفادونجا عام 722. بينما استمر موسى بن النصير مواصلاً محاولاته لفتح الأندلس.⁽⁸⁾

خلافة قرطبة:

تشمل هذه الفترة قيام الدولة الأموية في الأندلس مما بين دخول عبد الرحمن الداخل قادماً من دمشق إلى شمال أفريقيا ثم الأندلس 136 هجرية حتى آخر خليفة أموي في الأندلس وهو هشام الثالث المعتد بالله سنة 416 هجرية وازدهار عصر الدولة الأموية في الأندلس. وأسس الأمويون حضارة إسلامية قوية في مدن الأندلس المختلفة. وهي أطول وأهم الفترات التي استقر فيها المسلمون في الأندلس الدولة الأموية ونقلوا إليها الحضارة الأدب والفن والعمارة الإسلامية، وتعتبر آثار الأمويين هي الطابع الغالب على الأندلس بأكملها ومن روائع ما خلفه الأمويون مسجد قرطبة. ولقد بذل عبد الرحمن الداخل جهوداً حضارية متميزة فعمل على تجميل مدينة قرطبة وأحاطها بأسوار عالية وشيد بها المباني الفخمة والحمامات على شاكلة الحمامات في دمشق والمدن الإسلامية والمدارس والمنتديات والمكتبات.⁽⁹⁾ وكان الطراز الأموي هو أبرز سمات الفن الاندلسي وبرع الأمويون في شتى الفنون فن النحت على الخشب والزخرفة والنسيج والتحف المعدنية والنحاسية التي نقلوا صناعتها من دمشق حيث أصبحت مدن الأندلس منارة للعلم والحضارة وكانت قرطبة تنار بالمصابيح ليلا لمسافة 16 كم واحاط الخلفاء الأمويون مدن الأندلس بالحدائق الغناء فكانت قبلة للنظرين وما تركوه وخلفوه لنا من آثار ينطق بالعظمة والجلال.

حكام الأندلس الأمويين هم بالترتيب :

- عبد الرحمن الداخل الملقب (صقر قريش) ⁽¹⁰⁾ - حتى عام 172 هجرية
- هشام الأول بن عبد الرحمن - من عام 172 إلى عام 180 هجرية
- الحكم بن هشام - من عام 180 إلى عام 206 هجرية
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام - من عام 206 إلى عام 238 هجرية
- محمد بن عبد الرحمن - من عام 238 إلى عام 273 هجرية
- المنذر بن محمد - من عام 238 إلى عام 275 هجرية
- عبد الله بن محمد - من عام 275 إلى عام 300 هجرية
- عبد الرحمن الثالث الناصر - من عام 300 إلى عام 350 هجرية
- الحكم بن عبد الرحمن - من عام 350 إلى عام 366 هجرية
- هشام الثاني بن الحكم - من عام 366 إلى عام 399

تاريخ ملوك الطوائف بالأندلس: بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (422هـ) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها:

- دولة بن عباد بإشبيلية (414هـ - 484هـ).
- بنو جهور في قرطبة (422هـ - 449هـ).
- بنو حمود بمالقة (407هـ - 449هـ).
- بنو زيरी بغرناطة (403هـ - 483هـ).
- بنو هود بسرقسطة (410هـ - 536هـ).
- بنو رزين بالسهلة (402هـ - 497هـ).
- بنو ذي النون بطليطلة (400هـ - 478هـ).
- بنو الأفطس في بطليوس (413هـ - 487هـ). (11)

التوسع الإسلامي ببلاد الأندلس:

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالاً عبر جبال البرنبيه حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا. هُزم الجيش الإسلامي في معركة بلاط الشهداء (بواتييه) عام 732 أمام قائد الفرنجة شارل مارتل. أما محاولة السيطرة على البرتغال: فقد أرسل القائد موسى بن نصير إلى ابنه عبد العزيز ليستكمل الغزوات في غرب الأندلس حتى وصل إلى لشبونة.

طلب الاندلسيون المعونة من قائد المرابطين في المغرب الامير يوسف بن تاشفين ان يهب لمساعدة الاندلس وكانت مساعداته قد انتهت بهزيمة كاسحة للإسبان في موقعة الزلاقة واستعادة بعض المدن إلا أنه فشل في استعادة طليطلة والقضاء على ملوك الطوائف وأصبحت الأندلس تابعة لدولة المرابطين في الاندلس الذين دافعوا عن الاندلس ضد الإسبان في عدة مواقع الا انهم فشلوا في الدفاع عن سرقسطة بقيام الثورة في

المغرب بقيادة الموحيدين وانهيار دولة المرابطين تحولت تبعية الأندلس إلى الموحيدين الذين حملوا راية الدفاع عن الأندلس في عدة مواقع أشهرها معركة الأرك ولكن جيوش الموحيدين ما لبث أن هُزمت في موقعة العقاب على الرغم من ضخامتها وكبرها مما تسبب في انهيار دولة الموحيدين نهائياً ومع انهيار الحكم الموحيدي في الأندلس بدأت مرحلة جديدة من الانهيار في الأندلس.⁽¹²⁾

البعض من المؤرخين يرى الإسبان والمسلمون معاً أنه في عام 718 بدأت حركة الاسترداد المسيحي وذلك من خلال معركة كوفادونجا أو مغارة دونجا والتي انهزم فيها ابن علقمة اللخمي من قبل قوات «بلايه»، وانتهت بالتأسيس الأولى لإمارات الفرنجية في شمال شبه جزيرة أيبيريا.

أسباب سقوط الأندلس:

كان هناك مجموعة من الأسباب التي كان نتائجها سقوط وانهيار الأندلس وذلك للأسباب التالية:

الانصراف عن إقامة الشرع:

فقد شاع تناول الخمر دون وجود عقاب رادع لمن يشربها. وشاع المجون واللهو والموسيقى والغناء، وانتشر شراء الجواري، وانخرط أمراء الأندلس في التقرب من المغنيات والمغنيين. وكان للمغنيين نصيب من خيرات الأمراء وأموالهم، حيث بنى لهم القصور الفخمة، وانتشر وقتها بناء مدارس تتخصص في تعليم الغناء وقواعد الموسيقى.⁽¹³⁾

انصراف أمراء الأندلس إلى اللهو والترف:

وانصراف أمراء الأندلس للسكن في أفخم القصور وتناول أشهى المأكولات وارتداء أفخم الملابس والانصراف في سبيل ذلك عن مهمة حماية الأرض والعرض.⁽¹⁴⁾ دب الضعف في أوصال دولة الإسلام في الأندلس، وسرى الوهن في أطرافها، وراح العدو القشتالي يتربص بها، وينتظر تلك اللحظة التي ينقض فيها على الجسد الواهن، فيمزقه ويقضي عليه، لم تصرفه القرون الطوال عن تحقيق أمله الطامح إلى إزالة الوجود الإسلامي في الأندلس، فلم يكد ينتصف القرن السابع الهجري حتى كانت ولاية الأندلس الشرقية والوسطى في قبضة النصارى القشتاليين، وأصبحت حواضر الأندلس الكبرى أسيرة في قبضتهم؛ حيث سقطت قرطبة وبلنسية، وإشبيلية، وبطليوس، وهي حواضر كانت تموج علماً وثقافة وحضارة. ولم يبق للمسلمين هناك سوى بضع ولايات صغيرة في الطرف الجنوبي من الأندلس، قامت فيها مملكة صغيرة عُرفت بمملكة غرناطة، شاءت الأقدار لها أن تحمل راية الإسلام أكثر من قرنين من الزمان، وأن تقيم حضارة زاهية وحياة ثقافية رائعة، حتى انقض عليها الملكان المسيحيان: «فرديناند الخامس» و«إيزابيلا»، وحاصرا بقواتهما غرناطة في 12 من جمادى الآخرة 896هـ = 30 من إبريل 1491م حصاراً شديداً، وأتلفا الزروع المحيطة بالمدينة، وقطعا أي اتصال لها بالخارج، ومنعاً أي مدد يمكن أن يأتي لنجدتها من المغرب الأقصى؛ حتى تستسلم المدينة، ويسقط آخر معقل للإسلام في الأندلس. غرناطة تلفظ أنفاسها لم تكن تملك غرناطة سلاحاً أقوى من الشجاعة، ولا أمضى من الصبر في المواجهة والثبات عند اللقاء، فصمدت إلى حين، وظلت المدينة تعاني الحصار زهاء سبعة أشهر، وتغالب نكباته في صبر ويقين،⁽¹⁵⁾ وتواجه الجوع والبلاء بعزيمة لا تلبث، وحاول الفرسان المسلمون أن يدفعوا هجمة النصارى الشرسة بكل ما يملكون خارج أسوار المدينة، لكن ذلك لم يغن عن الأمر شيئاً، فالأحوال تزداد سوءاً، والمسلمون تتفاقم محتتهم، وانقطع الأمل في نجدتهم من بلاد المغرب، في ظل هذه

المحنة القاسية تداعت أصوات بعض القادة إلى ضرورة التسليم؛ حفاظاً على الأرواح، وكان "أبو عبد الله محمد" سلطان غرناطة وبعض وزرائه يتزعمون هذه الدعوى، وضاع في زحام تلك الدعوة المتخاذلة كل صوت يستصرخ البطولة والفداء في النفوس، ويعظم قيمة التضحية والكرامة في القلوب، فاتفق القائمون على غرناطة على اختيار الوزير "أبي القاسم عبد الملك" للقيام بمهمة التفاوض مع الملكين الكاثوليكين. وليس ثمة شك في أن هذين الملكين كانا وراء سريان روح التخاذل وإشاعة اليأس في مملكة غرناطة، وتهيئة الأوضاع لقبول التسليم، واستخدما في ذلك كل وسائل الإغراء مع السلطان أبي عبد الله وبعض خاصته. استمرت المفاوضات بضعة أسابيع، وانتهى الفريقان إلى وضع معاهدة للتسليم، وافق عليها الملكان في 21 من المحرم 897هـ = 25 من نوفمبر 1491م،⁽¹⁶⁾ وكانت المفاوضات تجري في سرية خشية ثورة أهالي غرناطة، وحتى تحقق غايتها المرجوة. ويتعجب المرء حين يعلم أن أبا القاسم بن عبد الملك ومساعدته في المفاوضات الوزير "يوسف بن كماشة" كان سلوكهما مربياً، يقدمان المنفعة الشخصية على الصالح العام، فقد كتبوا إلى الملكين الكاثوليكين خطاباً يؤكدان فيه إخلاصهما وولاءهما واستعدادهما لخدمتهما حتى تتحقق رغباتهما. وفي الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات التسليم، عُقدت معاهدة سرية أخرى، مُنح بموجبها أبو عبد الله وأفراد أسرته ووزارؤه منجاً خاصة بين ضياع وأموال نقدية. وما كادت تزداد أنباء الموافقة على تسليم غرناطة حتى عمّ الحزن ربوعها، واكتست الكآبة نفوس الناس، واشتعل الناس غضباً حين تسربت أنباء المعاهدة السرية، وما حققه السلطان وخاصته من مغام ومكاسب رخيصة، فسرت بين الناس الدعوة إلى الدفاع عن المدينة، وخشي السلطان من تفاقم الأحوال وإفلات الأمر من بين يديه، فاتفق مع ملك قشتالة على تسليم المدينة قبل الموعد المحدد في 2 من ربيع الأول 897هـ = 2 من يناير 1492م. تسليم المدينة وفي هذا اليوم الحزين استعد الجيش القشتالي لدخول المدينة، وأطلقت المدافع في قصر الحمراء طلقاتها إيداناً بالاستعداد للتسليم، ودخلت القوات المسيحية، واتجهت توا إلى قصر الحمراء، وما إن دخلت القوات حتى رفعت فوق برج القصر الأعلى صليباً فضياً كبيراً، وهو الذي كان يحمله الملك "فرديناند" خلال المعارك مع غرناطة.. وأعلن المنادي بصوت قوي من فوق البرج أنَّ غرناطة أصبحت تابعة للملكين الكاثوليكين. وباستيلاء القشتاليين على غرناطة طُويت آخر صفحة من تاريخ دولة المسلمين في الأندلس، وقُضي على الحضارة الأندلسية الباهرة وآدابها وعلومها وفنونها.

قامت مملكة غرناطة في الفترة التي ظهرت فيها للحفظ على تراث الأندلس، وبايواء الوافدين إليها من المدن الأخرى.⁽¹⁷⁾ كان من بينهم العلماء والكتاب والشعراء، وبإثراء الحياة الفكرية بالمؤلفات الجيدة في مختلف العلوم والفنون. وبأي في مقدمة من أنجبتهم غرناطة: أبو عبد الله محمد بن جُزى الكاتب الشاعر، المتوفى سنة 757هـ = 1356م، وابن خاتمة الشاعر المعروف المتوفى 770هـ = 1369م، ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ = 1375م وهو يعد من كبار الأعلام في الثقافة العربية، فهو أديب وطبيب وفيلسوف وشاعر ومؤرخ، من أشهر إنتاجه: الإحاطة في أخبار غرناطة، وكتاب الإشارة إلى أدب الوزارة، واللمحة البدرية في الدولة النصرية. وأيضاً: الوزير بن زمرك المتوفى سنة 797هـ = 1395م، تلميذ ابن الخطيب، وكان شاعراً جيداً، وابن الأزرقي المتوفى سنة 895هـ = 1490م وكان بارعاً في النثر والنظم والتاريخ، وله كتاب قيم في الفكر السياسي بعنوان: بدائع الأندلس في طبائع الملك، والشريف العقيلي وزير السلطان أبو عبد الله محمد آخر

ملوك قرناطة بالأندلس، وكان إمام عصره في النثر والنظم، ووُصف بأنه خاتمة أدباء الأندلس. وكثر في قرناطة إنشاء المدارس ومعاهد العلم، وارتقت الصناعات والفنون، فازدهرت صناعة السفن والأنسجة والورق، والفخار والذهب، وصناعة الحلي، وتطورت صناعة الأسلحة، فظهرت المدافع والبنادق، ويحتفظ متحف مدريد الوطني بنماذج من البنادق التي استعملها المسلمون في دفاعهم عن قرناطة. وكانت مدينة قرناطة في ذلك العصر من أجمل مدن العالم بشوارعها النظيفة وميادينها الرائعة وحدثاتها الغناء، ومبانيها ومرافقها الجميلة، ولا تزال آثارها الباقية تشهد على ما بلغته المدينة من رقي ومدنية. وقد اشتهرت مساجد قرناطة باستخدام الرخام، وتجميل صحنونها بحدائق الفاخرة،⁽¹⁸⁾

إقامة المآذن منفصلة عن المساجد، وتوجد الآن مئذنتان يرجع إنشاؤهما إلى هذه الفترة الأولى: مئذنة مسجد تحول إلى كنيسة، وهي المعروفة باسم كنيسة "سان خوان دي لوس ريس"، والأخرى ببلدة "رندة" التي تحول مسجدها إلى كنيسة باسم "سان سباستيان". ويعد قصر الحمراء من أعظم الآثار الأندلسية الباقية، بما حواه من بدائع الصنع، والمهارة الفنية الراقية، بالإضافة إلى قصر جنة العريف، وهو يقع بالقرب من قصر الحمراء ويطلّ عليه، وكان يتخذ ملوك قرناطة متنزها للراحة والاستجمام.⁽¹⁹⁾

معركة بلاط الشهداء:

جمع عبد الرحمن الغافقي جيشه وخرج باحتفال مهيب ليعبر جبال البرانس واتجه شرقاً ليضلل المسيحيين عن وجهته الحقيقية، فأخضع مدينة "أرل" التي خرجت عن طاعة المسلمين، ثم اتجه إلى «دوقية»، فانتصر على الدوق انتصاراً حاسماً، ومضى الغافقي في طريقه متتبّعاً مجرى نهر "نهر الجارون" فاحتل "بردال" واندفع شمالاً ووصل إلى مدينة "بواتيه". ولم يجد الدوق «أودو» بدا من الاستنجاد بالدولة الميروفنجية، وكانت أحوالها في يد شارل مارتل الذي قابل قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء عام 732م بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الإفرنج بقيادة قارلة (أو تشارلز/ كارل مارتل). هُزم المسلمون في هذه المعركة وقتل قائدهم وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية ديانةً سائدة فيها⁽²⁰⁾

استرداد طليطلة:

بعد أن ظلت الدولة الإسلامية في الأندلس بضعا من الزمن متماسكة موحدة، بدأت تقام ممالك فرنجية في شمال إسبانيا المحررة مثل ممالك "مملكة قشتالة" و"مملكة أراجون" و"مملكة بسون" و"مملكة الباسك"، قامت دولة بني ذي النون في "توليدو" طليطلة وبدأ صراع مع ملك "سرقسطة" ابن هود، ولجأ الطرفان يطلبان مساعدة ملوك إسبانيا المسيحيين. وكان هؤلاء يساعدون المسلمين على بعض، مقابل الحصول على مال أو قلاع أو أراضٍ أو مدن، واستمر النزاع بين طليطلة وسرقسطة من سنة 1043 إلى سنة 1046م. بعد فترة صراعات داخل البيت القشتالي انتهى بوحدته مملكتي قشتالة وليون تحت صولجان "الملك ألفونسو السادس"، وبعد أن استتب له الأمر،⁽²¹⁾ فرض الحصار على "توليدو" في سنة 1084م، ولم يقدّم أحد بمساعدة إخوانهم المسلمين إلا "المتوكل ابن الأفطس" الذي أرسل جيشاً كبيراً لنجدة توليدو، لكنه تعرض لهزيمة ساحقة ماحقة من الجيش المسيحي، واستمر الحصار 9 شهور، إلى أن استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين في الوصول لتسوية. لم يرّض ألفونسو سوى بتسلم المدينة كاملة، وفعلًا تم ذلك في 25

مايو 1085م، وتوجه إلى المسجد الكبير الذي كان كاتدرائية أولاً وحوله إلى كاتدرائية وصلى فيه قداس الشكر، وصارت العاصمة لمملكة قشتالة الفرنسية وتم استردادها، وتم منح المسلمين الحرية كاملة لمغادرة المدينة أو البقاء فيها وحرية التصرف في أملاكهم.⁽²²⁾

نهاية الممالك الإسلامية وما بعد السقوط:

كانت حياة المسلمين فيها مزيجاً بين يسر الحال والسعادة. نظراً لما تميزت به الأندلس من امتلاك مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة وتوفر المياه العذبة ومناخها المعتدل. كما كانت مقصداً لأبناء الطبقة العليا في أوروبا بقصد الدراسة في الجامعات والمدارس الأندلسية. حيث كان العلماء العرب والأساتذة موضع فخر لكافة الأوروبيين ممن يتلقون تعليمهم على أيديهم.⁽²³⁾

لذا كان الأوروبيون يعتمدون على ألفاظ اللغة العربية في حديثهم لينالوا لقب مثقفين ونعتوا بالمتعلمين. كما كان الأمراء من حكام ممالك النصارى بشمال إسبانيا يلجأون إلى الحكام المسلمين من حاكمي الأندلس للتدخل وتقديم حلول لما بينهم من نزاع وخلافات. وبناءً على ذلك تدخلت جيوش المسلمين بينهم، وكانت تغير من الأوضاع السياسية هناك. في مقابل هذا الدور حصل المسلمون على العديد من الأراضي والحصون إلى أن بدأت قوة المسلمين في الأندلس تضعف وتنهار ومهد ذلك لسقوط الأندلس.⁽²⁴⁾

تقلص الحكم الإسلامي في الأندلس إلى أن اقتصر على حكم غرناطة حتى سقطت وانهارت عام 1492م. حيث وقعت معاهدة الاستسلام من قبل الملك أبو عبد الله الصغير. وكان الطرف الثاني في المعاهدة الملك الكاثوليكي فرديناند والملك إيزابيلا. وتوسع النصارى في نشر محاكم التفتيش، والتي كانت سبباً في حرق الكثير من المسلمين.⁽²⁵⁾

كان هذا الوضع هو النهاية التي كتبت للمسلمين ومقدمة أسباب سقوط الأندلس، ومن الجدير بالذكر أن انهيار الأندلس وسقوطها ونهاية الحكم الإسلامي لها ظل على مدار العديد من القرون إلى أن فقد المسلمين السيطرة على الأندلس، مما يشير إلى استماتة أعداء الدين الإسلامي وصبرهم الطويل من أجل هذا الهدف، حيث استمرت خطتهم لهز الكيان الإسلامي في الأندلس إلى أن وقعت تحت قبضة هؤلاء من أعداء المسلمين والإسلام.⁽²⁶⁾

قام المسيحيون بشن عدة حروب لاستعادة شيه الجزيرة الأيبيرية في كل من قرطبة سنة 1236 وإشبيلية سنة 1248 نهاية بسقوط دولة بني الأحمر في غرناطة سنة 1492.

اتحدت مملكة ليون وقشتالة مع مملكة أرغون واستطاع الملك فرناندو والمملكة إيزابيلا، استرجاع المدن الأيبيرية الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت في أيديهم غرناطة آخر قواعد المسلمين سنة 1492.⁽²⁷⁾

سلم أبو عبد الله الصغير غرناطة بعد صلح عقده مع فرناندو في تاريخ 25 نوفمبر 1491 / 21 محرم 897 هـ يقتضي بتسليم غرناطة وخروج أبو عبد الله الصغير من الأندلس، ولكن سرعان ما نقض هذا الأخير العهد. وبدأت محاكم التفتيش في التعذيب والقتل والنفي، وبدأت هنا معاناة أهل الأندلس من المسلمين ومن اليهود، باشرت عملية القضاء على المسلمين من قبل المسيحية المنتصرة، وقد حُرِّمَ الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّمَ عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كَانَ يُحَرَّقُ حياً بعد أن يُعَذَّبُ أشدَّ العذاب.⁽²⁸⁾

كانت محاكم التفتيش تجبرهم على التنصير. زاد ذلك تمسك أهل الأندلس بالإسلام ورفضوا الاندماج مع المجتمع المسيحي. وحسب الرواية القشتالية الرسمية، لم يُبد الأندلسيون رغبة في الاندماج في المجتمع المسيحي الكاثوليكي وبقوا بمعزل عنه، يقومون بشعائهم الإسلامية ويدافعون عنها بكل تفان. وحتى لا يصطدموا بمحاكم التفتيش لجأوا إلى ممارسة التقية فأظهروا إيمانهم المسيحي وأخفوا الإسلام، فكانوا يتوضؤون، يصلون ويصومون... كل ذلك خفية عن أعين الوشاة والمحققين. يتحدث مول في كتابه عن قرية مويل، فيصف كيف يصنع سكانها الأندلسيون الخزف ويُضيف: «قالوا لي إن القرية ليس بها سوى 3 مسيحيين قدامى هم الكاتب الشرعي،⁽²⁹⁾ والقسيس وصاحب الحانة.. أما الباقون فهم يُفضّلون الذهاب إلى مكة للحج عن السفر إلى كنيسة سانتياغو في جليقية». كتب في سنة 1601م، المطران ريبا، مهندس قرار الطرد، تقريراً عن الوضع قدمه إلى الملك، وقال فيه: «إن الدين الكاثوليكي هو دعامة المملكة الإسبانية، وإن الموركسيين لا يعترفون ولا يتقبلون البركة ولا الواجبات الدينية الأخيرة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون النبيذ، ولا يعملون شيئاً من الأمور التي يقوم بها النصارى...» ثم يضيف: «إننا لا نثق في ولائهم لأنهم مارقون، وإن هذا المروق العام لا يرجع إلى مسألة العقيدة، ولكنه يرجع إلى العزم الراسخ في أن يبقوا مسلمين، كما كان آبائهم وأجدادهم. ويعرف مفتشوا العموم أن الموركسيين بعد أن يحجزوا عامين أو ثلاثة وتشرح لهم العقيدة في كل مناسبة فإنهم يخرجون دون أن يعرفوا كلمة منها، والخلاصة أنهم لا يعرفون العقيدة،⁽³⁰⁾ لأنهم لا يريدون معرفتها، ولأنهم لا يريدون أن يعملوا شيئاً يجعلهم يبدون نصارى». وفي تقرير آخر يقول المطران نفسه: «إن الموركسيين كفرّة متعنتون يستحقون القتل، وإن كل وسيلة للرفق بهم فشلت، وإن أسبانيا تتعرض من جراء وجودهم فيها إلى أخطار كثيرة وتتكدب في رقابتهم والسهر على حركاتهم وإخماد ثوراتهم كثيراً من الرجال والمال...». وجاء في قرار الطرد الخاص بمسلمي بلنسية: «... قد علمت أنني على مدى سنوات طويلة حاولت تنصير موركسيي هذه المملكة ومملكة قشتالة، كما علمت بقرارات العفو التي صدرت لصالحهم والإجراءات التي اتخذت لتعليمهم ديننا المقدس، وقلة الفائدة الناتجة من كل ذلك، فقد لاحظنا أنه لم ينتصر أحد، بل زاد عنادهم⁽³¹⁾. وتؤكد معظم المصادر أن أسباب سقوط الأندلس تعود إلى انخراط حكامها في حروب لا تنتهي بينها حفاظاً على السلطة والجاه، وهي حروب ونزاعات أججها خصوم المسلمين، إلى جانب الانغماس في حياة الترف واللهو، والمبالغة في الإنفاق بدل الدفاع عن الأرض التي فتحها أسلافهم. كان هناك العديد من الدول والمناطق والأراضي التي كانت لا تعلم هي وأهلها أي من تعاليم الدين الإسلامي والأشياء، التي قد أنزل بها الأنبياء والرسول، ليس هذا فقط، بل أنه إن رغب أحد في الدخول إلى الدين الإسلامي كان يتم قتله وأسرّه. فكان هناك العديد من الملوك الذين كانوا يروا من أنفسهم آلهة ولا يوجد أحد يستطيع أن يقف أمامهم وإلا يلقي العذاب والموت، فكانت تلك الفتوحات تأتي لإنقاذ هؤلاء الأشخاص من العذاب ويعلموا أن هناك الدين، وهناك الله الذي يدافع عنهم ومن ثم أصبح الدين أقوى بهم بعد الله عز وجل.

كانت سنة 92هـ هي السنة التي تم فيها فتح الأندلس، وأعقب فتحها انتشار الإسلام في مختلف أنحاءها. حيث قامت دولة في الأندلس على يد المسلمين، وطال حكم هذه الدولة لثمانية قرون. كان أول من تولى خلافة المسلمين في ذلك الوقت عبد الرحمن الناصر، وقبل تناول أسباب سقوط الأندلس لا بد من

التذكير بأن كتب التاريخ ذكرت أن تاريخ الأندلس شهد تقدماً ملحوظاً في النواحي الثقافية، وكانت من الدول الأكثر تحضراً.

موقف ملوك وسلاطين الممالك الإسلامية من سقوط غرناطة:

موقف سلاطين بني مرين:

كان مسلمو الأندلس كلما اشتد بهم الأمر استنجدوا بملوك المغرب، لا سيما ملوك بني مرين الذين ساروا على نهج المرابطين، والموحدين الذين كانوا ينهضون للتدخل لحماية الأندلس كلما ضاق الأمر بأهلها.⁽³²⁾

فالسultan المريني أبو يوسف المنصور (815 هـ/1286م مثلاً، عبر إلى الأندلس أربع مرات لإغاثة أهلها، ووصلت جيوشه إلى طليطلة، وقرطبة بل إلى مدريد وهي قريبة من آخر معقل وصل إليه الإسلام في الأندلس، فساهم بذلك في إنقاذ غرناطة من الانهيار السريع أمام ضربات ملوك قشتالة وأرغون⁽³³⁾ لكن رغم الجهود التي بذلها بنو مرين لحماية الأندلس، فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات ساحقة، كذلك التي حققها المرابطون في معركة الزلاقة، والموحدون في معركة الأرك والسبب في ذلك يرجع إلى أن المرينيين كانوا يقاتلون بإمكانياتهم الذاتية فقط، بينما كان المرابطون والموحدون يقاتلون بإمكانيات المغرب العربي كله. ومهما يكن من أمر، فإن بني مرين ساهموا في دور فعال في حماية الأندلس قبل أن يدخلوا في دوامة من الفوضى والاضطراب، والحروب الداخلية ضد منافسيهم من جهة، وضد جيرانهم من جهة ثانية، بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يمر بها المغرب في هذه الفترة من تاريخه على وجه الخصوص، والتي حالت دون تمكن المرينيين، أو الوطاسيين من إنقاذ الأندلس، بل جعلتهم عاجزين حتى عن حماية سواحلهم من الاحتلال الإسباني والبرتغالي.⁽³⁴⁾

يقول المؤرخ الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الحنفي الذي زار شمال أفريقيا في مطلع القرن السادس عشر، وعاین أوضاع المغرب في هذه الفترة: ووقع بفاس وأعمالها خطوب، وحروب، وفتن، وأهوال، وفساد عظيم، وخراب بلاد، وهلاك عباد. وأخذت الفرنج في تلك الفترات عدة مدن من منابر العدو. مثل طنجة، وأصيلا وغير ذلك.. ولا زالت الفتن والشور قائمة مستحبة بتلك البلاد مدة سنين، بل إلى يومنا هذا..⁽³⁵⁾ ومنذ أن كانت الحواضر الأندلسية تنهال على ضربات الإسبان ورسائل الاستغاثة تتوالى من أهل الأندلس على ملوك المغرب، لكن هؤلاء كانوا أعجز من أن يقوموا بتقديم عون جدي لمسلمي الأندلس.

يقول مؤرخ أندلسي مجهول الذي عاصر مأساة غرناطة: «...إن إخواننا المسلمين من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم، فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرج على نصرتنا وإغاثتنا، وعدونا قد بنى علينا وسكن، وهو يزداد قوة، ونحن نزداد ضعفاً، والممدد يأتيه من بلاده، ونحن لا مدد لنا...»⁽³⁶⁾

موقف السلاطين الحفصيين:

كما كان أهل الأندلس يستغيثون بملوك المغرب، فإنهم كانوا يلجئون إلى ملوك بنو حفص، خصوصا عندما لا يجدون من ملوك المغرب أذنا صاغية، فمن ذلك أنه عندما سقطت بلنسية، أرسل أهلها إلى أبي زكريا الحفصي يستمدون منه النجدة والممدد، وجعلوا على رأس بعثتهم شاعرهم ابن الأبار القضاعي الذي ألقى بين يديه قصيدته الشهيرة التي مطلعها:⁽³⁷⁾

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

ولم تكن بلنسية وحدها هي التي بايعت أبا زكريا الحفصي، وطلبت منه المدد، بل قد بايعه كذلك أهل إشبيلية، وأهل المرية، إلا أن موقف أبي زكريا الحفصي من استنجد أهل الأندلس لم يكن يتناسب مع خطورة الوضع، ذلك لأنه لم يكن يملك القوة الكافية التي تمكنه من إنقاذ الأندلس التي كانت ظروفها تقتضي اقتحام الحفصيين للأندلس، والقضاء على رؤوس الفتنة من ملوك الطوائف، وهو ما لم يكن يقدر عليه أبو زكريا الحفصي، ولذلك اكتفى بإرسال أسطول مشحون بالطعام والسلاح والمال، لكن هذا المدد لم يصل إلى المحاصرين في بلنسية، كما أرسل بمدد آخر أثناء حصار إشبيلية، لكن المدد استولى عليه العدو، كما استولى على إشبيلية فيما بعد.⁽³⁸⁾ وأثناء حصار غرناطة، أو بعد سقوطها لم نجد فيما رجعنا إليه من المصادر ما يدل على أن أهل الأندلس استغاثوا بأمراء بني حفص، ولعل ذلك راجع إلى أن الدولة الحفصية كانت تعيش أخريات أيامها، ولم يكن بمقدور أمرائها أن يقدموا أي جهد جدي لدعم مسلمي الأندلس.⁽³⁹⁾

خصوصا إذا علمنا أن سواحل تونس نفسها لم تنج من الاحتلال الإسباني، أضف إلى ذلك أن الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم يعتبر من أفضل جيوش شمال أفريقيا، قد تحلل وأصبح عاجزا عن مقاومة أي عدو، بل فقد سيطرته حتى على الأعراب الذين كانوا يعيشون فسادا في البوادي، وأطراف المدن، الأمر الذي جعل الملوك الحفصيين يستعينون بالمرتزقة من الجنود الإيطاليين والإسبان والزنج وغيرهم.⁽⁴⁰⁾

موقف ملوك الدولة الزيانية:

لم تكن أحداث الأندلس بعيدة عن اهتمامات ملوك بني زيان، ذلك لأن أهل الأندلس كانوا يلجئون إلى الزيانيين مستنجدين بهم عندما تضيق بهم السبل، فمن ذلك أنه عندما ضيق الإسبان الخناق على غرناطة أستصرخ ملكها أبو عبد الله بأبي حمو الزياني، بقصيدة من نظم الشيخ الفقيه أبي البركات محمد بن أبي إبراهيم البليقي مطلعها:⁽⁴¹⁾

هل من مجيب دعوة المستنجد أم من مجير للغريب المفرد :

ورسالة من إنشاء الوزير لسان ابن الخطيب يذكر فيها أنهم: «... لم يعانوا منذ أن فتحت الأندلس شدة، وضيقا أشد مما هم عليه الآن. وذكر بأن ملك النصارى جمع لهم جيوشا من سائر الأمم المسيحية، وأنهم قاموا بإحراق الزروع، والمسلمون ليس لهم مغيث يلجأون إليه (بعد الله) سوى إخوانهم في الدين، وذكر بأنهم كانوا قد أعلموا المرينيين بهذا الخطر، وأنهم يقومون بما يقدر عليهم من دعم ومساندة، وأنهم لا يملكون غير أنفسهم، وقد بذلوا في سبيل الله، وهم ينتظرون نجدتكم». فقام أبو حمو الزياني بإرسال الأحمال العديدة من الذهب والفضة، والخيول، والطعام، وبفضل هذا المدد أمكن لأهل غرناطة أن يثبتوا للدفاع عن مدينتهم فترة أطول.⁽⁴²⁾ وكما كانت أوضاع الحفصيين، والمرينيين، ثم الوطاسيين لا تؤهلهم للدفاع عن بلادهم، فضلا عن إنقاذ الأندلس، كانت المملكة الزيانية تعيش نفس الظروف المتدهورة. ولذلك تعذر على ملوكها تقديم أي دعم جدي لأهل غرناطة أو غيرها، وسوف يتبين لنا لاحقا أن المملكة الزيانية كانت أضعف من أن تساهم في إنقاذ الأندلس.⁽⁴³⁾

موقف سلاطين دولة المماليك في مصر

في أواخر القرن الخامس عشر، أرسل مسلمو غرناطة إلى الملك الأشرف قايتباي (1496-1468) سلطان المماليك بمصر، يرجونه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك المسيحيين، فاكتفى الأشرف بإرسال وفود إلى

البابا، وإلى ملوك أوروبا يذكرهم بأن المسيحيين في دولته يتمتعون بكافة الحريات، بينما إخوته في الدين في مدن إسبانيا يتعرضون لشتى ألوان الاضطهاد، وهدد على لسان مبعوثيه بأنه سوف يتبع سياسة المعاملة بالمثل، وهي التنكيل بالمسيحيين إذا لم يكفّ ملوك إسبانيا عن اضطهاد المسلمين، وطالب بعدم التعرض لهم، ورد ما أخذ من أراضيه⁽⁴⁴⁾. لكن الملك فردناند، والملكة إيزابيلا لم يريا في مطالب سلطان الممالك وتهديده ما يحملهما على تغيير خطتهما في الوقت الذي كانت فيه قواعد الأندلس تسقط تباعا في أيديهما، إلا أنهما بعثا إليه رسالة مجاملة ذكرا فيها: «أنهما لا يفرقان في المعاملة بين رعاياهما المسلمين، والنصارى، ولكنهما لا يستطيعان صبرا على ترك أرض الآباء والأجداد في يد الأجانب، وأن المسلمين إذا شاءوا الحياة في ظل حكمهما راضين مخلصين، فإنهم سوف يلقون منهما نفس ما يلقيه الرعايا الآخرون من الرعاية...»⁽⁴⁵⁾

لم يتمكن الباحثون من معرفة مصير هذه الرسالة، كما أنه لا يلاحظ في سياسة مصر المملوكية نحو الرعايا المسيحيين في مصر، أو في القدس ما يدل على أن السلطان المملوكي قد نفذ تهديده. ويبدو أن السلطان قايتباي لم يتمكن من إغاثة مسلمي الأندلس بسبب انشغاله بتحركات بايزيد ورد غاراته المتكررة على الحدود الشمالية. بالإضافة إلى الاضطرابات الداخلية التي كانت تثور هنا وهناك، ومن ثم فإن الجهود المصرية وقفت عند الاكتفاء بالجهود الدبلوماسية، وتركت الأندلس تواجه قدرها بنفسها⁽⁴⁶⁾.

كرر الأندلسيون استغاثتهم بالملك الأشرف قانصو الغوري (1501-1516) سلطان ممالك مصر والشام، داعين إياه أن يتوسط لدى الملكين الكاثوليكيين (فرديناندو وإيزابيلا) لاحترام معاهد الاستسلام، ووقف أعمال الاضطهاد ضدهم، فأرسل الغوري وفدا إلى الملكين يبين لهما أنه سوف يجبر النصارى المقيمين في بلاده على الدخول في الإسلام، إذا لم ترع الاتفاقات السابقة بينهما وبين المسلمين، لكن فقهاء المسلمين عارضوا معاملة الرعايا المسيحيين بالمثل، محتجين بأن الإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه، فأرسل إليه الملكان سفيرا أقنعه بأن المسلمين يعاملون معاملة حسنة، وأن لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الإسبان⁽⁴⁷⁾. وهكذا خابت آمال المسلمين الأندلسيين في تلقي أي دعم أو مدد من سلطان الممالك قانصو الغوري الذي يبدو أنه كان مشغولا هو الآخر في حروبه مع العثمانيين، بالإضافة إلى كونه لا يملك أسطولا قويا يمكنه من مواجهة الإسبان أفعدته عن إغاثة الأندلسيين⁽⁴⁸⁾. وقد وفرت مصر المملوكية مأوى كريم للاجئين مثل العلامة ابن خلدون وغيره من الأندلسيين.

موقف السلطان محمد الفاتح:

أرسل أهل غرناطة في منتصف سنة 1477 أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما) سفارة على إستانبول، وجهوا فيه نظر السلطان محمد الفاتح إلى تدهور أوضاع المسلمين في الأندلس، وناشدوه التدخل لإنقاذهم، لكن كان في حكم المستحيل أن يستجيب السلطان الفاتح لهذه الاستغاثة، لأنه كان هو الآخر مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي ضم البابا سكست الرابع 1471 (1484)، وجنوة، ونابولي، والمجر، وترانسلفانيا، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، وعددا من الزعماء الألبان الذين كانوا يضمرون عدا شديدا للدولة العثمانية⁽⁴⁹⁾

موقف السلطان بايزيد الثاني :

ثم استنجد الأندلسيون مرة أخرى بعد وفاة الفاتح بابنه السلطان بايزيد الثاني 1480-1511، إلا أن السلطان بايزيد كانت قد تزاحمت عليه أزمات داخلية وخارجية كثيرة منعتة من إغاثة مسلمي الأندلس

منها: صراعه مع أخيه جم (1481-1495) وحربه مع المماليك في أدنة سنة 1485-1491، بالإضافة إلى الحرب مع ترانسلفانيا، والمجر، والبندقية ثم تكوين تحالف صليبي آخر ضد الدولة العثمانية من طرف البابا يوليوس الثاني، وجمهورية البندقية، والمجر، وفرنسا وما أسفر عن هذا التحالف من حرب أدت إلى تنازل العثمانيين عن بعض ممتلكاتهم، وانتهى حكم السلطان بايزيد بصراع بين أبنائه، أضفى إلى تنحيته عن العرش، ثم موته في ظروف مشبوهة.⁽⁵⁰⁾

لكن رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في هذه الفترة الحرجة من تاريخها، فإن السلطان بايزيد لم يهمل استغاثة أهل الأندلس، بل حاول أن يقدم لهم ما يستطيعه من أوجه الدعم والمساندة، فأرسل إلى البابا رسولا يعلمه بأنه سوف يعامل المسيحيين في إستانبول، وسائر مملكته بنفس المعاملة إذا أصر ملك قشتالة على الاستمرار في محاصرة المسلمين في غرناطة، والتضييق عليهم، وبالفعل أرسل أسطولا بحريا بقيادة كمال ريس إلى الشواطئ الإسبانية سنة 1486، فقام هذا الأخير بإحراق وتخریب السواحل الإسبانية والإيطالية ومالطا ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا،⁽⁵¹⁾ وحسب رواية أخرى (لم تتمكن من التأكد من صحتها) فإن السلطان الحفصي عبد المؤمن بعد نجاح وساطته في عقد صلح بين الدولة العثمانية ودولة المماليك، تم عقد اتفاق آخر على تحالف بين الحفصيين والعثمانيين والمماليك لدعم مسلمي الأندلس. وكان الاتفاق يقضي بأن يرسل العثمانيون أسطولا إلى سواحل إيطاليا تكون مهمته إلهاء الإسبان؛ بينما يستغل الفرصة ويقوم المماليك بإرسال قوات تنطلق من شمال أفريقيا إلى الأندلس لنجدة المسلمين هناك.⁽⁵²⁾

وهكذا بسبب المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، لم يتمكن العثمانيون في عصر بايزيد، وقبل ذلك في عصر الفاتح من إغاثة مسلمي الأندلس، كما أن التهديدات، والغارات التي شنها كمال ريس على السواحل الإسبانية لم تثن الملكين الإسبانين عن قرار إنهاء الوجود الإسلامي من إسبانيا المسيحية. وبهذه المواقف التي رأيناها يتضح لنا أن سقوط غرناطة وضياح الفردوس المفقود ارتبط بعدد من الأسباب التي كان يمر بها العالم الإسلامي وقتها، وضياح غرناطة، وما تبعه من طرد المسلمين كان نتيجة متوقعة في ضوء الأحداث التي مرت بها الأمة الإسلامية.⁽⁵³⁾

وثيقة إنجليزية تكشف كيفية سقوط غرناطة:

كشف الدكتور خوسيه غوميث سولينيو في المؤتمر الثامن عشر للغة والأدب والمجتمع الإسباني الذي اختتم أخيرا في مدينة مالقة، جنوب إسبانيا، عن عثوره على وثيقة إنجليزية تؤكد أن سقوط غرناطة الإسلامية والحصار الذي عانت منه المدينة «كان أكثر شراسة مما هو معروف حتى الآن». ومدى الترف والأبهة التي تميزت بها القصور الغرناطية والبلاط الملكي، وأثر الحصار الذي فرضته القوات الإسبانية على أهالي مدينة غرناطة، حتى اضطروهم إلى أكل الكلاب والقطط، ويخلص إلى أن العرب دفعوا ثمنا باهظا للغاية بسقوط آخر جوهرة لهم في أوروبا⁽⁵⁴⁾ ويذكر المؤلف أن عدد القوات التي حاصرت غرناطة كان أكبر بكثير من عدد القوات الغرناطية، مخالفا بذلك الرواية المتواترة من أن جيش غرناطة كان كبيرا، وتضيف الوثيقة أن «أهالي غرناطة مروا بمعاناة قاسية خلال أعوام الحصار، وقامت القوات الإسبانية بتحطيم وحرق الحقول المجاورة للمدينة، ما تسبب في مجاعة رهيبية بين سكان غرناطة، ولهذا السبب أكلوا الخيول والكلاب والقطط .

وتتعرض الوثيقة أيضاً للكنوز الهائلة التي حصل عليها الإسبان بعد الفتح «ففي مسجد غرناطة كان هناك 300 مصباح من الذهب والفضة.. وعثر ملك إسبانيا على كميات هائلة من الذهب وبها بنى الكنيسة مكان المسجد».⁽⁵⁵⁾ ويذكر المؤلف الإنجليزي أن «الملك فرناندو لم يسمح للمسلمين إلا بما يستطيع كل واحد منهم أن يحمله على ظهره من حاجات، ما عدا الذهب والفضة والسلاح»، ولهذا فإن الجيش الإسباني وجد عند دخوله المدينة الآلاف من الأسلحة من سيوف ودروع ومناجيق⁽⁵⁶⁾ ويشير الدكتور غوميث سولينيو إلى أن الوثيقة تذكر أن فتح غرناطة تم عام 1491 والصحيح هو 1492، والسبب هو أن السنة الجديدة لدى الإنجليز كان تبدأ في 25 مارس آذار) وليس الأول من شهر يناير (كانون الثاني).⁽⁵⁷⁾ ويختتم الدكتور غوميث سولينيو بحثه حول تبعات سقوط غرناطة فيقول أن انهيار الحكم العربي في هذه المدينة كان له صدى كبير وواسع جداً ليس فقط في إسبانيا وإنما في كل أوروبا، فأقيمت الصلوات في العديد من المناطق⁽⁵⁸⁾ الأندلس بعد أن فتحها المسلمون تم تقسيمها إلى خمس وحدات إدارية أساسية، والتي ضمت كلاً من أندلوسيا، والبرتغال، وغاليسيا، وأراكون، وقشتالة، وليون، وبرشلونة، إضافةً لسبتانيا التاريخية، أما من الناحية السياسية فكانت في بداية الأمر عبارة عن ولاية تابعة للدولة الأموية، خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك، وبعد أن انهارت الدولة الأموية تولى عبد الرحمن بن معاوية زمام أمورها عندما قامت الدولة العباسية، حيث أسس فيها إمارة قرطبة والتي دامت مئة وتسعة وسبعين سنة، وبعد ذلك عمل عبد الرحمن على إعادة تأسيس الدولة الأموية إلى أن تفككت إلى مجموعة من الدويلات معروفة باسم دول الطوائف.⁽⁵⁹⁾

تعاقت الإمارات والدويلات الأندلسية، وأصبحت وجهة خصبة للتبادل الثقافي ما بين المسلمين والمسيحيين إضافةً لليهود من ناحية، وبين البربر، والعرب، والإفرنج، والقوط من ناحية أخرى، ومع مرور الوقت انصهرت جميع هذه الثقافات في خليط واحد جعل الأندلس مميزةً عن باقي الأقاليم الإسلامية، ولكن على الرغم من ذلك إلا أن الشريعة والنهج الإسلامي كان المصدر الأساسي للقضاء وحل الخلافات والنزاعات المختلفة، ولم يكن المسلمون متمزتون بأرائهم بل سمحوا لليهود والنصارى بالرجوع إلى كتبهم وأديانهم لحل مشاكلهم بأنفسهم، فلم يفرضوا آرائهم.⁽⁶⁰⁾

محاكم التفتيش:

محاكم التفتيش كان الهدف منها تعقب كل من لم يكن عضواً أرثوذكسياً في الكنيسة الكاثوليكية وإنهاء حياته. كانوا يجبرون من يقع بأيديهم على الاعتراف بخطاياهم وكان متهمهم يراقبهم متخفين تحت القبعات الطويلة.. حيث كانوا يحرقوا المذنبين على الخشبة أحياناً! عام 1526 اتت محاكم التفتيش إلى غرناطة حيث خيروا المسلمين بين اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد أو التعرض للعقاب. وكانوا يأخذوا الأطفال والنساء في الليل ليحتجزوهم في الكنائس ليحاكموا في الصباح التالي. رغم مافعلته المحاكم بمسلمي الأندلس واعتناق العديد منه المسيحية إلا أن الكثيرين بقوا مسلمين في السر. وفي سنة 1609 أمر الملك الإسباني بطرد جميع المسلمين من إسبانيا ويذكر الدكتور «دوايت رينولد» أن الأشخاص الذين طردوا لم يكونوا من العرب أو البربر بل كانوا من سكان أيبيريا الأصليين وكان أبناء عموماتهم في الشمال يطردونهم من ديارهم... وهي رواية مختلفة تماماً عن حقيقة عملية الطرد وهذفها ولا سيما أن الأشخاص الذين طردوا كانوا

من السكان الاصليين. وفي فترة لا تتعدى عشرة اعوام طُرد أكثر من 250 ألف مسلم ومنعوا من أخذ ممتلكاتهم، حيث لجأوا إلى شمال أفريقيا (ولا يزال العديد من العائلات التي ترجع اصولهم إلى مسلمين الاندلس يعيشون في شمال افريقيا وخصوصاً بالمغرب وهم من المسلمين من اصول ايبيرية) نص الصفحة. نص الصفحة. دام الوجود الإسلامي في اسبانيا قرابة 800 سنة كدولة مسلمة وكانت تعرف بالأندلس حينها وهو الاسم الذي أطلقه العرب على اسبانيا، قام الإسبان ببحروب الاسترداد وفي نهاية القرن الخامس عشر عند سقوط غرناطة آخر ممالك المسلمين عادت اسبانيا إلى حكمها الذاتي. ولم يعرف الأسبان عندما نفوا العرب من بلادهم أنهم إنما يخربون بيوتهم بأيديهم، ولم يدركوا أنهم قتلوا الإوَّرة التي تبيض الذهب، فقد كانت أسبانيا ولقرون طويلة في حكم العرب مركز المدينة، منبع الفنون والعلوم، مصباح الهداية في أوربا.⁽⁶¹⁾

الحضارة الإسلامية في الأندلس:

كان للأندلس دور كبير في التأثير على أوروبا والممالك المجاورة لها، وعند قيام الدولة الأموية في الاندلس كان يقصد قرطبة العديد من أبناء أوروبا لطلب العلم. وقد دام الحكم الإسلامي للأندلس قرابة 800 سنة. وفي العصر الحاضر لا تزال منطقة جنوب إسبانيا تعرف باسم الأندلس وتعتبر إحدى المقاطعات التي تشكل إسبانيا الحديثة وتحفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، وتحمل اللغة الإسبانية كثيراً من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية. وقد قارن الطبيب الأمريكي المؤرخ فيكتور روبنسون بين الحالة الصحية وغيرها في الأندلس وفي أوروبا خلال فترة الفتح الإسلامي للأندلس فقال: "كانت أوروبا تعيش ظلاماً حالكاً، في حين كانت قرطبة تضيئها المصابيح، وكانت أوروبا غارقة في الوحل، في حين كانت قرطبة مرصوفة الشوارع". وإننا لنلمس فضل المسلمين وعظيم أثر مجدهم حينما نرى بإسبانيا الأراضي المهجورة التي كانت أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار، فحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء، نشعر بالركود العام بعد الرفعة والازدهار.

توليدو:

وهي مدينة إسبانية كانت واقعة تحت الحكم الإسلامي كشان بقية المدن ولكن كان يعيها الضعف في فترة انحلال الحكم الإسلامي هناك فقام الكاثوليك القوط بمحاصرتها ودخولها سريعا... بعد احتلال القوط لها أصبحت مدينة شاهدة على تراث ثقافي عربي كبير فجاء لها العديد من الجماعات المؤلفة من مسلمين ويهود ومسيحيين للتعليم والمعرفة وكان من بين الوافدين رجل إنجليزي يدعى : دانييل مورلي والذي قال عنها انه ذاهب إلى حيث يجد أهم فلاسفة العالم وبعد جولة معرفية هناك رجع إلى إنجلترا محملاً بالعديد من الكتب والمؤلفات المفاجأة ان هذا الوافد كان من اوكسفورد⁽⁶²⁾

غرناطة:

إقليم جنوبي كبير، وهو الإقليم الذي تبقى إسلاميا لفترة طويلة أثناء الصراع الإسلامي الصليبي حتى تم عقد حلف سياسي عائلي بين ملكي إسبانيا المسيحيين حيث تم زواج الملك فرديناند من الملكة ايزابيلا، وبذلك أصبح ممكنا التغلب على الإسلام وملكه الضعيف في غرناطة كان للطبيعة الجبلية دورا كبيرا في حماية غرناطة من الهجمات المتتالية للمسيحيين الذين زحفوا من الشمال على كل الاقاليم والمدن الأسبانية، ولكن لم يعد هناك وقت كثير وقد بدا الوقت ينفد...بالزواج تم عقد حلف قوى وتوجهت الحشود لاستعادة

غرناطة اخر معاقل الإسلام في الاندلس وتم الحصار لمدة عام كامل ،وفي عام 1496 دخل فرديناند وايزابيلا القصر الملكي في غرناطة مرتدين زيا صمم خصيصا لذلك اليوم واستلموا مفاتيح المدن من الملك العربي الضعيف عبد الله الصغير الذي يروى انه بكى وفي رواية أخرى انه قال لاهه عندما لامته على تسليم المفاتيح هذا سلام الشجعان فأنشدته البيت الشهير: ابكى مثل النساء على ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال، وكان بمقتضى التسليم ان يكون الملك مؤمنا هو واهل البلدة على انفسهم واموالهم ولكن تم فرض الاقامة الجبرية عليه ثم مصادرة امواله وممتلكاته وقتله في النهاية.... بسقوط غرناطة يبدأ عصر التفتيش⁽⁶³⁾

تأثير المسلمين في العلوم:

ويمكننا ان نقول ان تأثير المسلمين في بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى الزمن الحاضر. فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبيليه في اواخر القرن الماضي. واذا كان تأثير المسلمين في أنحاء أوروبا التي لم يسيطروا عليها الا مؤلفاتهم، فقد كان تأثيرهم أكبر من ذلك في البلاد التي خضعت لسلطانهم كبلاد اسبانيا. اشتهر مسلمو اسبانيا في العصر الأندلسي بحب أقتناء الكلاب، وكان من هذه الكلاب نوع يسمى كلب الماء Spanish Water Dog - Perro de Agua Espanol – TurcoAndaluz وكان يستخدم في صيد الأسماك. كما عرف عن الأندلسيون حب الماء والسباحة وكانت تحتوى بيوت القادرين منهم على برك للسباحة «أحواض للسباحة». واشتهروا أيضاً بحب الموسيقى مثل الموشح الأندلسي والذي يرجع في موسيقاه إلى الموسيقى القوطيه ورقص الفلامنكو وموسيقى الفانجدو وصناعة الوتر الخامس للعود على يد زرياب وتطور آلة العود إلى الجيتار. واشتهروا أيضاً بالعمارة الأندلسية والنافورات والزجاج المعشق والزجاج الملون كما ساهم الأندلسيون الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية أخرى في نقل أسرار صناعة البارود للشعوب الإسلامية الأخرى كما اشتهر الأندلسيون بالخط الأندلسي المائل سواء كتب بالحروف العربية أو كتب بالحروف اللاتينية. وفي العصر الحاضر لا تزال منطقة جنوب إسبانيا تعرف باسم أندلوثيا وتعتبر إحدى المقاطعات التي تشكل إسبانيا الحديثة وتحفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، وتحمل اللغة الإسبانية كثيراً من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية مثل كلمة بركة.⁽⁶⁴⁾

حضارة الاندلس تبرز في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر:

بعد أن استقرت الأوضاع في الاندلس، توجه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى ارساء دعائم الحكم في كل الاتجاهات الداعية إلى بناء الدولة. عام 336هـ 948م.

من الناحية السياسية:

أصبحت قرطبة أيام الخلافة في المكانة السياسية التي تفد إليها الوفود والرسول من جميع الدول، فقد وصل إليها سنة 336 هـ وفد من «بيزنطة الشرقية» من القسطنطينية - استانبول حالياً- لتطوير العلاقات بين دولة الرومان الشرقية وبين الاندلس، فهاج الوفا ما رأوه من عظمة الاندلس وريقها ورد الناصر بوفد يرأسه «هشام بن بديل» بالهداية الثمينة إلى ملك الروم، ودامت السفارات بينهما. كما جاءت وفود الدول المجاورة لدولة قرطبة تلتزم الصداقة، وتبادل السفراء فيما بينها ومن مختلف المناطق حتى من نصارى شمال الاندلس، فأجروا مع الناصر معاهدات سلم وأمن، فأمن المسلمون في الثغور وساد الهدوء. مات في عام 339هـ «راميرو الثاني» ملك ليون، فاقسم ولده اأردينو وشانجة الملك، ثم تنازعا مما جعل «شانجة» - وهو

الصغير- يطلب المساعدة والعون من الناصر بالذات، ولم يتوان الناصر في ذلك فأمد «شأنجة» بهال وعتاد مكنه من استلام الحكم، لذلك عقد مع الناصر معاهدات أمن وسلام.⁽⁶⁵⁾

من الناحية الاجتماعية:

تفنن الناس في أنواع الطعام والغناء والطرب، وانشغلوا عن الاستعداد للجهاد، وكان من سن فيهم هذه السنة «زرياب» فأشغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس، فلكل فصل نوع من الطعام واللباس، ولكل مجلس آداب وتقاليده، ولكل حفلة طرب وغناء (وموسيقا) مختلف الالحن، ولقد تصدى العلماء على محاربة الترف والاسراف، منهم «المنذر بن سعيد البلوطي» قال عنه «ابن بشكوال» منذر بن سعيد خطيب ماهر لم يكن بالأندلس اخطب منه، مع العلم البار، والمعرفة الكاملة، واليقين في العلوم والدين، والورع وكثرة الصيام والتهجد والصعد بالحق، كان لا تأخه في الله لومة لائم، وقد استسقى في غير مرة فسقي، وكذلك الخليفة الذي بيده متاع الدنيا الكثير يقف خاشعاً متضرعاً إلى الله ان ينزل الماء وأن لا ينال المسلمين قحط أو حرمان من رحمة الله بسببه، وهو الذي ما قصر يوماً بحق الإسلام والمسلمين.

من الناحية العمرانية:

أصبحت قرطبة من أكبر مدن العالم آنذاك سكانا، إذ بلغ عدد سكانها نصف مليون، ولم يكن مدينة أكبر منها الا بغداد، وبلغت دورها ثلاثة عشر الفا (دور واسعة في عربية كما يقال)، بالإضافة إلى القصور، كان فيها ثلاثة آلاف مسجد، فهل في هذا العصر مدينة مثلها بعدد مساجدها؟⁽⁶⁶⁾

من الناحية الادارية:

قسمت قرطبة وحدها إلى ثمانية وعشرين ضاحية، وقسم رجال الشرطة إلى شرطة بالليل وشرطة بالنهار، وجعل قسم منهم لمراقبة التجار، ونظم جباية المال وموارد بيت المال حتى بلغ دخل هذا البيت (6,245,000) دينارا ذهبياً، ولما مات الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد ترك في بيت المال ثلاث مائة مليون ليرة ذهبية، وكان ثلث هذا المبلغ يرصد لتغطية نفقات الدولة الجارية، ويدخر الثلث الثاني، وينفق الباقي على مشروع العمران، لذلك أطلق على قرطبة لقب «جوهرة العالم» في ذلك الزمان، وحق لها هذا اللقب. وكذلك نظم أسلوب البريد، ونظم المالية، فالضرائب والمكوس والخراج والجزية، ونظم القضاء ووضع شروطاً لتولي القضاء، في الناحية الفقهية، وفي العدالة والاستقامة، ولم يشترط عربية الجنس في القضاء، وأنشأ قضاءً جديداً أسماه قضاء المضام ما يقابل الاستئناف في يومنا هذا، وأوجد جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك جعل نظام الحسبة ففي كل بلد محتسب، يشرف على الاسواق التجارية ومشاكلها وقوانين القضاة.⁽⁶⁷⁾

من الناحية الاقتصادية:

نمت الزراعة نمواً مزدهراً، فتنوعت أشجار الفواكه والمزروعات من قصب السكر والأرز والزيتون والكتان، وأوجد مزارع خاصة لتربية دودة القز، كما نظم اقية الري وأساليب جر المياه، وجعل تقويماً للزراعة لكل موسم (ومنها انتقلت الزراعة إلى أوروبا). وفي الصناعة جعلت المناجم، وطور أنواعها، الذهب والرخام والفضة والرصاص والنحاس، وتطورت صناعة الجلود، ومراكز خاصة لصناعة السفن وآلاتها، وصناعة الزيتون والأدوية، وفي زمنه ظهرت الأسواق الخاصة للبضائع، فهناك سوق للنحاسين، وسوق للزهور والشحوم وسوق للزيتون.⁽⁶⁸⁾

من الناحية الثقافية:

صارت قرطبة مركزاً للعلوم والآداب، وانتشرت الثقافة وكثر الإنتاج العلمي وشاعت المعرفة، وبلغ عدد الكتب «400,000» كتاب في مكتبة واحدة هي (مكتبة الحكم)، وبلغ عدد المكتبات «70» مكتبة. ووضعت لها فهارس دقيقة، وتصانيف عديدة، كما ظهر النساخون الذين كانوا يقومون بدور المطابع في عصرنا، وظهر المجلدون لتجليد الكتب والعناية بها وحفظها، وكان «عبد الرحمن الناصر» يُعرف بحبه للعلم والعلماء، وكان من أشهر العلماء القاضي عبد الله محمد بن محمد الذي أخذ العلم من مائتين وثلاثين شيخاً، كما ظهر القاسم بن الدباغ الذي نقل العلم عن مائتين وستة وثلاثين شيخاً، ولم يكتف بما أخذ من الأندلس بل سافر إلى المشرق لينهل من علومه، وكان من بين العلماء الأندلسيين الذين قدموا المشرق الإسلامي. وبرزوا من خلال ابن عطية في التفسير، كما اشتهر في الفقه: الباجي وابن وضاح وابن عبد البر، وابن عاصم والمناذر بن سعيد في الفقه والحديث، وظهر بالفلسفة ابن رشد وابن مسرة القرطبي وبرز في اللغة ابن سيده صاحب المعجم، وأبو علي القالي صاحب الامالي الذي تلقى تعليمه في بغداد ثم رحل إلى الأندلس فبلغ في فقه اللغة شأناً بعيداً هناك، وكتب ابن قوطية في التاريخ، وبرز شاعر عظيم هو محمد بن هانئ الأندلسي ضاهي المتنبي وأبو تمام وكان أهل الأندلس يأملون له مكانة مثل عظماء الشعراء لكنه مات صغيراً. وغيرهم فقد عمل عبد الرحمن الناصر على نشر المعرفة في ربوع البلاد، فابتنى في قرطبة وحدها سبعاً وعشرين مدرسة وأدخل إليها الفقراء من الطلاب مجاناً، حتى أصبحت قرطبة في عهده منارةً تجتذب إليها الأدباء والعلماء والفنانين.⁽⁶⁹⁾

سقوط دولة الاندلس:

أعوام من التماسك انتهت بنهاية الدولة العامرية:

استمر التواجد الإسلامي في الأندلس قرابة 800 عام، ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى جزأين: الأول امتد منذ بداية الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة العامرية وتميز بكونه عهداً ذهبياً استطاع فيه الأمويون الحفاظ على وحدة الأندلس أو تماسكها، أما الجزء الثاني فكان مع بداية نشوء ملوك الطوائف الذين حكموا دويلات متفرقة أضعفها التنافر فيما بينها حتى سقطت جميعها بيد الإسبان.⁽⁷⁰⁾

بدأت قصة المسلمين في الأندلس عام 711، عندما شن طارق بن زياد، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، حرباً ضد مملكة القوط الغربيين الذين حكموا شبه جزيرة إيبيريا، ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك المنطقة ولاية تابعة للخلافة الأموية في دمشق وأطلق عليها اسم «الأندلس».

وبقي الأمر على ذلك الحال حتى سقوط الدولة الأموية على يد بني العباس الذين بدؤوا بملاحقة أمراء بني أمية فقتل منهم مَن قُتل ونجا منهم من نجا.. وكان من بين الناجين عبد الرحمن بن معاوية الملقب بـ«صقر قريش» أو عبد الرحمن الداخل، والذي تمكن من الوصول إلى الأندلس لتأسيس خلافة أموية مستقلة هناك عام 756، حيث بقيت الأندلس كياناً قوياً واحداً إلى أن سقطت الدولة العامرية التي كانت تدين بالولاء ظاهرياً للأمويين.

مع انتهاء الخلافة الأموية في الأندلس، شهدت المنطقة حقبة جديدة اتسمت بالتفرقة والضعف وعرفت باسم مرحلة «ملوك الطوائف» حيث قسمت الأندلس إلى قرابة 22 دويلة، منها غرناطة وإشبيلية،

والمرية وبلنسية، وطليلة وسرقسطة. وقد وصل ملوك الطوائف إلى مرحلة من الضعف باتوا فيها يدفعون الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة، ويستعينون به أثناء تناحرهم مع بعضهم البعض مقابل إمداده بالأموال أو التنازل له عن القلاع والحصون والأراضي.⁽⁷¹⁾

ضعف ملوك الطوائف كان سبباً في انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس، ومع ذلك فقد كان انهياراً بطيئاً للغاية استمر 407 أعوام وبدأ بسقوط طليطلة.

سقوط طليطلة.. أولى ممالك الطوائف الزائلة

فيما اقتسم الأمراء دويلات الأندلس، كانت طليطلة من نصيب بني ذي النون الذين تعود أصولهم إلى البربر.

ومقارنة بباقي ملوك الطوائف، كان بنو ذي النون الأضعف على الإطلاق، إذ لم يستطيعوا أن يحافظوا على دويلتهم فترة طويلة وسرعان ما سقطت لقمة سائغة في أيدي الإسبان.

كان لطليلة تحديداً أهمية بالغة لدى الإسبان، فقد كانت عاصمة القوط قبل دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، كما أنها متاخمة لحدود الممالك الإسبانية مما يجعلها بوابة عبور باتجاه باقي دويلات ملوك الطوائف.

عدا عن ذلك فقد دخل مسلمو طليطلة وسرقسطة في صراع مع بعضهم البعض، واستعان الطرفان بالملوك الإسبان لنجدتهم ضد إخوانهم.⁽⁷²⁾

وفي الوقت الذي شهدت فيه الولايات المسلمة ضعفاً وفرقة وتناحراً، كان الإسبان يعملون على توحيد رايتهم، وخاصة الملك ألفونسو السادس الذي استطاع ضم مملكتي قشتالة وليون تحت رايته. كل هذه العوامل ساهمت في إغراء ألفونسو للاستيلاء على طليطلة، فحاصرها حتى استسلم أهلها عام 1085، واتخذ منها عاصمة لمملكته.

وما كانت طليطلة إلا البداية فقط بالنسبة لألفونسو الذي بدأ بإرسال رسائله لبقية ملوك الطوائف داعياً إياهم للاستسلام أو الاستعداد لمواجهة مصير طليطلة.

المرابطون الذين آخروا سقوط الأندلس 4 قرون:

من بعد طليطلة، وجّه ألفونسو أنظاره نحو إشبيلية التي كان يحكمها المعتمد بن عباد آنذاك، وكانت واحدة من أقوى ممالك الأندلس؛ إذ ضمت قرمونة وولبة والجزيرة الخضراء إضافةً إلى قرطبة، عاصمة الخلافة الأموية السابقة. وبالرغم من ذلك لم تمتلك إشبيلية من القوة ما يجعلها تصمد أمام جيوش ألفونسو، فما كان أمام ابن عباد من خيار سوى الاستعانة بـ«يوسف بن تاشفين»، أمير دولة المرابطين في المغرب. ركب ابن تاشفين البحر مع جيشه وصولاً إلى الأندلس، واجتمع مع جيش الأندلسيين بقيادة ابن عباد لمواجهة ألفونسو السادس في معركة الزلاقة عام 1086.⁽⁷³⁾

مُني الإسبان بخسارة مدمرة في هذه المعركة وأصيب ألفونسو السادس إصابة في فخذه تسببت في عرجه طوال حياته، ويشار إليها إلى أنها المعركة التي أحرّت خروج المسلمين من الأندلس 4 قرون أخرى. وبعد مرور بضعة أعوام على هذه المعركة، قرر المرابطون ضم ملوك الطوائف إلى ملكهم وكان من السهل على جيوشهم القوية اختراق دفاعات دويلات الأندلس الضعيفة، فاستولوا على غرناطة ثم على

طائفة المرية عام 1090، وعلى إشبيلية عام 1091، وعلى طائفة بطليوس عام 1094 وعلى طائفة سرقسطة عام 1110⁽⁷⁴⁾.

سقوط غرناطة:

استمر حكم المرابطين في الأندلس فترة طويلة من الزمن، إلى أن انهار أخيراً على يد الموحيدين عام 1147 الذين حكموا بدورهم حتى عام 1212 حيث تمت هزيمتهم من قبل قوات ألفونسو الثامن في موقعة «العقاب». مع ذلك لم ينتهِ الوجود الإسلامي في الأندلس مع نهاية الموحيدين، على الرغم من استمرار توسع الإشبانية وإسقاطهم للمدن والحصون المسلمة واحدة تلو الأخرى. ولم يستطع الإشبانية السيطرة على كامل الأراضي الأندلسية إلا في عام 1492 حين سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس.⁽⁷⁵⁾

عدا عن عزلة غرناطة التي بقيت في النهاية تحارب وحدها، ساهمت العديد من العوامل الأخرى في سقوطها، وكان أبرزها استخدام الإشبانية الفعال للمدفعية لإخضاع المدن التي طال حصارها، وتوحد الممالك الإشبانية فقد كانت الحرب على غرناطة مشروعاً مشتركاً بين إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وليون و فرديناند الثاني ملك أراغون.

مع ذلك لم يكن سقوط غرناطة سهلاً، فقد صمدت المدينة 10 أعوام أمام الحملات العسكرية المتتالية التي أنهكت المدينة، حتى قام أميرها أبو عبدالله الصغير بتسليمها في نهاية المطاف إلى الإشبانية لتصبح جزءاً من قشتالة ولينتهي بسقوطها حكم إسلامي دام قرابة 8 قرون.

فكان سقوط الأندلس في الثاني من شهر ربيع الأول سنة 897هـ = 2 من يناير سنة 1492م. وقد مر على سقوطها 538 سنة.⁽⁷⁶⁾ وهاجر بعدها أبو عبد الله الصغير إلى بلاد المغرب الأقصى، واستقر بفاس، وبنى بها قصوراً على طراز الأندلس، وكانت ذريته بعده يعدون من جملة الشحاذين.. إنها عاقبة الذل والخيانة.⁽⁷⁷⁾

خلاصة القول بهذا انطوت صفحة عظيمة من التاريخ، وانتهت حضارة وصلت إلى أوج ازدهارها، وخسر العالم حضارة الدين والدنيا في الأندلس، وارتفعت راية النصرانية على أرضها، وغربت شمس حكم المسلمين هناك بسبب مخالفة سنن الله في استمرار الأمم ورفقيها، فأصبحت حضارة الأندلس حصيداً حصده سنن التاريخ جزاءً وفاقاً. ورغم أن سقوط الأندلس في يد الفرنجة، إلا أنها ستعود لنا يوماً ما، يوم يأخذ المسلمون بسنن النصر وقوانينه، بل ستعود إليهم كل بقعة أخذت منهم قسراً أو غصباً.

الخاتمة:

كان لسقوط الأندلس دوى هائل وعميق في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واهتم الحكام المسلمين في المناطق المجاورة لهذا الحدث الجلل، واعتبر الأندلس صدمة مريضة وتحدياً مخيفاً كان له أسوأ الأثر في نفوسهم فعلى الرغم من أن الأندلس ظلت منذ زمن طويل تفقد حيلاً كبيراً من سلطتها المادية، فإن مكانتها الأدبية والروحية لا زالت قوية فبكي سقوط الكثير من المؤرخين والباحثين والعلماء منهم ابن الأثير الذي قال «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لهاء كارها لذكرها، فانا أقدم اليه رجلاً و آخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمي لم تلدني، واليتني من قبل حدوثها وكانت

نسياً منسياً وكان لسقوط الأندلس دروس وعبر. وعلى ضوء ذلك توصل البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات نذكر فيما يلي:

النتائج:

سقوط طليطلة عام (1085م) بداية الأنهيـار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس. تعتبر مملكة استورياس في جليقية أول الإمارات الفرنجية في شمال إيبيريا بعد الفتح الإسلامي. غرناطة آخر إمارة إسلامية سقطت في الأندلس عام (1492م). استنجد مسلموا الأندلس بالمرابطين والملوحدين حكام شمال إفريقيا لصد العدوان الصليبي على الأندلس.

كان للأندلس دور في التأثير على أوروبا والممالك المجاورة لها حيث كان يقصدها العديد من أبناء أوروبا لطلب العلم.

التوصيات:

- من خلال من توصل إليه البحث من نتائج نوصي بالآتي:
- على الباحثين تتبع الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا والأندلس.
 - الوقوف على سمات الفن الأندلسي في شتى المجالات العلمية.
 - يجب معرفة تاريخ ملوك الطوائر لما له الأثر الكبير في تاريخ الأندلس.
 - أوصي لاطلاع على حضارة غرناطة لأنها كانت أجمل مدينة في العالم.
 - أوصي حكام المسلمين بالابتعاد عن الفتن والصراعات الدولية لكي لا تسقط حضارتهم الإسلامية.
 - المحافظة على التراث الإسلامي لينهل منه طلاب العلم.

الهوامش:

- (1) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1986م، ص 123..
- (2) عدنان عبد الله. دزلة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ط2، 1411هـ - 1990م، ص 158.
- (3) كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الغرب والأندلس، مركز الإسكندرية، للكتاب، (د. م)، 2003م، ص69.
- (4) أحمد بن محمد المغربي المالكي الشهير بالملفتي، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، (ت. أ)، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة عيسى البابلي وشركاؤه، مصر، 1919م، ص329.
- (5) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي، حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1988م، ص174.
- (6) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر تاريخ افتتاح الأندلس، المرجع السابق، ص 29.
- (7) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص183..
- (8) إبراهيم الإيباري، أخبار مجموعة في فتح الأندلس. دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت. (1989)، ص 35
- (9) إبراهيم الإيباري، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، المرجع السابق. ص 37
- (10) إبراهيم الدوري: وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م، ص 54.
- (11) إبراهيم الإيباري، أخبار مجموعة في فتح الأندلس. المرجع السابق. ص 36
- (12) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص 42-43.
- (13) عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة. (1997) ص 34.
- (14) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت 456هـ/1065م)، جمهرة أنساب العرب. دار المعارف، القاهرة (1982) ص 44.
- (15) ابن حزم، علي. رسائل ابن حزم الأندلسي - ج2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ت: إحسان عباس، (1987)، ص 55.
- (16) شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد ابن أحمد ابن يحيى القرشي هو مؤرخ مسلم ولد في تلمسان سنة 1578م، وتوفي سنة الرابطة المجددية للعلماء، القاهرة، 1631م، ص 78.
- (17) المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد أزهار الرياض في أخبار عياض - الجزء الثاني. المعهد الخلفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، القاهرة، (1940)، ص46.
- (18) دوزي، رينهارت المسلمون في الأندلس، الجزء الأول. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1998) ص 78
- (19) دوزي، رينهارت، المرجع السابق، ص 66.
- (20) ابن عذاري المراكشي هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، (695هـ - 1295م) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - الجزء الثاني. دار الثقافة، بيروت، 1980 ص 49.

- (21) ابن حزم، علي (، المرجع السابق، ص 88. ن. عباس
- (22) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ). دار التوفيقية للطباعة الوسيط|المؤلف= تم تجاهله (مساعدة)، (2008). ص 44.
- (23) مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 123..
- (24) خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (2000)، ص 44.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الرقم المعياري= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)
- (25) نعنعي، عبد المجيد تاريخ الدولة الأموية في الأندلس - (التاريخ السياسي). دار النهضة العربية، بيروت. الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); (1986) ص 123.
- (26) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب-ج2، دار الثقافة، بيروت الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); ، (1980). ، ص 56. الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
- (27) انتصار محمد صالح الدليمي، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (-300 366 هـ / 976-912 م. جامعة الموصل، بغداد، (2005) ص 66.
- (28) القضاعي، ابن الأثير الحلة السيرة. دار المعارف، القاهرة. ، (1997). ص 89.
- (29) ابن حزم، علي جمهرة أنساب العرب المرجع السابق، ص 90.
- (30) عناني، محمد زكريا، المرجع السابق، ص 123. . الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|وصلة المؤلف= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
- (31) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1994)، ص 34.
- (32) العذري، أحمد بن عمر بن أنس. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك. منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص 122.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
- (33) المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت. (1988) الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); ، ص 78. الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

- (34) عدنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1997)، ص 89
- (35) الشيخ، محمد محمد مرسى دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (755م-976م-138هـ-366هـ)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة);، (1981)، ص 43
- (36) دوزي رينهارت المسلمون في الأندلس - الجزء الثاني. الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة - (1994)، ص 23
- (37) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال أو ابن بَشْكَوَال (578-494هـ/-1101م) قاضي ومؤرخ أندلسي ولد في 1101م وتوفي في 1183م ، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1989)، ص 76
- (38) أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ص 27.
- (39) أحمد بن محمد بن عذاري، مرجع سابق، ص 28.
- (40) عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص 77.
- (41) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص 89
- (42) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، المرجع السابق، ص 90.
- (43) الدليمي، انتصار محمد صالح التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (366-300هـ/976-912م. (جامعة الموصل)، بغداد، (2005) ص 192
- (44) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة. الوسيط|سنة= تم تجاهله (،، (1994)، ص 124مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
- (45) بالنثيا، أنخل جونثال، ترجمة حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي. مكتبة الثقافة الدينية، (1955) ، ص 78.
- (46) بالنثيا، أنخل جونثال، ترجمة حسين مؤنس، مرجع سابق ، ص 78.
- (47) الشيخ، محمد محمد مرسى، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (755م-976م-138هـ-366هـ مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية. (1981).ن ص 94
- (48) الشيخ، محمد محمد مرسى، المرجع السابق، ص 95.
- (49) ابن الفري، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، (1966) ، ص 46

- (50) بن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. المرجع السابق، ص 51.47
- (51) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة (1997)...
- ص 114
- (52) عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. مكتبة الخانجي، القاهرة (1997).
- ص 23.
- (53) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص 78
- (54) عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، المرجع السابق، ص 67
- (55) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ص 40
- (56) رسائل ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد ابن حزم القرطبي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007م، ص 112.
- (57) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة. مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (2000). ص 85
- (58) حتاملة، محمد عبده، المرجع السابق، ص 86.
- (59) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 86.
- (60) د. محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ص 43
- (61) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، دار النشر: الكويت، ط: 2، ربيع الثاني 1427هـ - مايو (أيار) 2006م، ص: 194.
- (62) الدكتور طارق السويدان، الأندلس، المرجع السابق، ص: 249.
- (63) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، المرجع السابق، ص: 196.
- (64) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، المرجع السابق، ص: 147.
- (65) المرجع نفسه ص: 198
- (66) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، المرجع السابق، رقم ص: 199
- (67) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، دار النشر: الكويت، ط: 2، ربيع الثاني 1427هـ - مايو (أيار) 2006م، رقم ص: 199
- (68) أمين، أحمد. ظهر الإسلام، الجزء الثالث. شركة نوابغ الفكر، القاهرة. ((2009)، ص 123
- (69) الدكتور طارق السويدان: الأندلس، دار النشر: الكويت، ط: 2، ربيع الثاني 1427هـ - مايو (أيار) 2006م، رقم ص: 200-201
- (70) أحمد مختار العابدي، في تاريخ المغرب والأندلس، (د-ط) مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د. ت) ص 261.

- (71) أحمد مختار العابدي، المرجع السابق، ص262..
- (72) أحمد بدر ، تاريخ الأندلس ،_د-ن) ،(د-م) 1983م، ص190.
- (73) محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، (40 ش د) ، مصطفى مشرقة الاسكندرية، (د. ت) ص43.
- (74) المورخ الماني يوسف اشباح، ترجمة محمد عبر الاعيان، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،(د-ن) ، ط2 مؤسسة الخارجية بالقاهرة ،ص64-62.
- (75) ابن عزاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، (د-ن) ،(ن،م) ، ط1 1967، دار الثقافة بيروت لبنان ،ص48.
- (76) سقوط الأندلس: دروس وعبر، ناصر العمر، ص 27.
- (77) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان: ج7 ص257 وما بعدها.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

- (1) أحمد بن محمد المغربي المالكي الشهير بالمقي، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة عيسى البابلي وشركاؤه، مصر، 1919م.
 - (2) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.
 - (3) رسائل ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد ابن حزم القرطبي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007م.
 - (4) عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.
 - (5) المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت. (1988) الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
 - (6) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.
- ثانياً: المراجع:
- (7) إبراهيم الإياري (1989). أخبار مجموعة في فتح الأندلس. دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت.
 - (8) إبراهيم الدوري : عبد الداخل في الأندلس، سياسته الخارجية والداخلية، العراق، دار الرشيد للنشر، 1982م.
 - (9) ابن الأثير (2008). الكامل في التاريخ. دار التوفيقية للطباعة والوسيط|المؤلف= تم تجاهله (مساعدة).
 - (10) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، (1966)
 - (11) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1989)،
 - (12) ابن حزم، علي (1987). رسائل ابن حزم الأندلسي - الجزء الأول والثاني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - تحقيق إحسان بن عباس
 - (13) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (1980). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - الجزء الثاني. دار الثقافة، بيروت.
 - (14) أحمد مختار العابدي، في تاريخ المغرب والأندلس، (د-ط) مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 261.
 - (15) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، الجزء الثالث. شركة نوابغ الفكر، القاهرة. ((2009
 - (16) بالنشأ، أنخل جونتالث، ترجمة حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي. مكتبة الثقافة الدينية، (1955).

- (17) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة. مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (2000).
- (18) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1986م..
- (19) الدليمي، انتصار محمد صالح التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (366-300هـ/976-912م. (جامعة الموصل)، (2005) .
- (20) دوزي رينهارت المسلمون في الأندلس - الجزء الثاني. الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة - (1994)،
- (21) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة . الوسيط|سنة= تم تجاهله (م)، (1994)، (مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة) (22) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون (2000). تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. دار الكتاب الجديد المتحدة، 44.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الرقم المعياري= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)
- (23) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي، حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 1988م.
- (24) الشيخ، محمد محمد مرسى دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (755م-976م -138هـ-366هـ). مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ (1981)،
- (25) طارق السويدان: الاندلس، دار النشر: الكويت، ط:2، ربيع الثاني 1427 هـ- مايو (أيار) 2006 م..
- (26) عدنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة، (1997)،
- (27) عناني، محمد زكريا (1999). تاريخ الأدب الأندلسي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
- (28) القضاعي، ابن الأَبَّار (1997). الحلة السيرة. دار المعارف، القاهرة..
- (29) كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ الغرب والأندلس، مركز الإسكندرية، للكتاب، 2003م،
- (30) محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، (40 ش د) ، مصطفى مشرفة الاسكندرية.
- (31) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م
- (32) نعنعي، عبد المجيد (1986) تاريخ الدولة الأموية في الأندلس - التاريخ السياسي. دار النهضة العربية، بيروت.
- (33) يوسف اشباح، ترجمة محمد عبر الاعيان، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، (د-ن) ،م، الثانية مؤسسة الخارجية بالقاهرة .